

الوافي في الوفيات

وقال ابن عبد ربّه إن الفارعة المذكورة كانت امرأة المغيرة بن شعبة وإنه هو الذي طلقها لأجل الحكاية المذكورة وذكر أيضاً أن الحجاج وأباه كانا يعلمان الصبيان بالطائف ثم أن الحجاج لحق بروح بن زنباع وزير عبد الملك وكان في عداد شرطته إلى أن رأى عبد الملك انحلال عسكره وأن الناس لا يرحلون برحيله ولا ينزلون بنزوله فشكا ذلك إلى روح بن زنباع فقال : إن في شرطتي رجلاً لو قلّده أمير المؤمنين عسكره لأرحل الناس برحيله وأنزلهم بنزوله يقال له الحجاج بن يوسف قال : فإنّنا قد قلّدناه ذلك فكان لا يقدر أحدٌ أن يتخلف عن الرحيل والنزول إلّا أعوان روح بن زنباع فوقف عليهم وقد رحل الناس وهم على طعام يأكلون فقال لهم : ما منعكم أن ترحلوا لرحيل أمير المؤمنين ؟ فقالوا له : إنزل يا بن اللحناء وكل معنا فقال لهم : هيهات ذهب ذلك ثم أمر بهم فجلدوا بالسياط وطوّسّهم في العسكر وأمر بفسطاط روح فأحرق بالنار فدخل روحٌ على عبد الملك باكياً وقال : يا أمير المؤمنين إنّ الحجاج الذي كان في شرطتي ضرب غلمانني وأحرق فساطيطي قال : عليّ به . فلما دخل عليه قال : ما حملك على ما فعلت ؟ قال : أنا ما فعلت ؟ قال : ومن فعل ذلك ؟ قال : أنت إنما يدي يدك وسوطي سوطك وما على أمير المؤمنين أن يخلف لروحٍ ما ذهب له عوض الفسطاط فسطاطين وعوض الغلام غلامين ولا يكسرني فيما قدّمني له فأخلف لروحٍ ما ذهب له وتقدرم الحجاج في منزلته وكان ذلك أوّل ما عرف من كفاته . وكان للحجاج في الفتك والسّفك والعقوبات غرائب لم يسمع بمثّلها وهي مشهورة عنه مدوّنة ويقال إن زياد بن أبيه أراد أن يتشبه بعمر بن الخطاب هـ في ضبط الأمور والحزم والصّرامة وإقامة السياسات فأسرف وتجاوز الحدّ وأراد الحجاج أن يتشبهه بزياد فأهلك ودمّر . وخطب يوماً فقال في أثناء كلامه : أيها الناس إن الصبر عن محارم الله أهون من الصبر على عذاب الله . فقام إليه رجل فقال له : ويحك يا حجاج ما أصفق وجهك وأقلّ حياءك . فأمر به فحبس . فلما نزل عن المنبر دعا به وقال : لقد اجتراءت عليّ . فقال : أتجتراء على الله ولا تنكره وتجتراء عليك فتنكره . فخلّى سبيله . وذكر أبو الفرج ابن الجوزي في تلقيح فهم أهل الأثر أن الفارعة أم الحجاج هي المتمنيّة ولما تمذّنت كانت تحت المغيرة بن شعبة وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى في ترجمة نصر بن حجاج في حرف النون في بابه . وقيل : إن عروة بن الزبير كنى أخاه عند عبد الملك بن مروان فقال له الحجاج : أتكني أخاك المنافق عند أمير المؤمنين لا أمّ لك فقال عروة : ألي تقول هذا يا ابن المتمنيّة وأنا ابن عجائز الجنة : صفيّة وخديجة وعائشة . وحكى أبو أحمد العسكري في كتاب التصحيف أن الناس غيروا يقرأون القرآن في مصحف

عثمان بن عفان هـ نيفاً وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ففرع الحجاج إلى كتّابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهات علامات فيقال : إن نصر بن عاصمٍ قام بذلك فوضع النُّقط أفراداً وأزواجاً وخالف بين أماكنها فغبر الناس بذلك زماناً لا يكتبون إلاّ منقوطةً وكان مع استعمال النقط يقع التصحيف فأحدثوا الإعجام فكانوا يتّبعون النقط والإعجام فإذا أغفل الاستقصاء عن الكلمة لم توفّ حقوقها إعتري التصحيف فالتمسوا حيلةً فلم يقدرُوا فيها إلاّ على الأخذ من أفواه الرجال بالتلقين